مختبر العلوم المعرفية

(LASCO)

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- ظهر المهراز، فاس

العدد الأول

النشرة التعريفية لمختبر العلوم المعرفية

LASCO

شخصية العد



الدكتور مصطفى بوعناني

وجهة نظ



الدكتور بنعيسى زغبوش

تفاعل
انسجام
تميز

السيكولوجيا والسياق المغربي

بنعيسى زغبوش

مختبر العلوم المعرفية

كلية الآداب والعلم الإنسانية – ظهر المهراز

جامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس

1. تقديم

إن تاريخ السيكولوجيا بالمغرب تاريخ مسار ابتدأ بالطب النفسي في مرحلة الحماية ومرحلة الاستعمار، ليمتد إلى ظهور السيكولوجيا المعرفية سنة 1991 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز بفاس. إنه على خلفية معارف الطب النفسي ثم معارف التحليل النفسي دخلت السيكولوجيا المغرب أثناء مرحلة الحماية ابتداء من 1920([1]). وقد عرفت حتى عشية الاستقلال سنة 1956، تطورات مهمة، خصوصا انطلاقا من سنوات السبعين والثمانين التي عرفت وفود أجيال جديدة من السيكولوجيين، الذين تكونوا في الغرب وفي

---

[1] للمزيد من التوضيح حول هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى Bennani (b2005).

المشرق العربي، ثم في المغرب مع افتتاح شعبتي علم النفس بكل من الرباط وفاس. لقد حاول هذا الجيل الجديد من السيكولوجيين تأسيس القواعد الأولى لسيكولوجيا حديثة بالمغرب، خصوصا عبر محورين متوازيين:

- التكوين والبحث والتأطير الأكاديمي في الكليات على المستوى النظري والمنهجي والعلاجي والتربوي، مع ما رافقه من تعريب للمواد ونحت للمفاهيم وإنتاج علمي سيكولوجي.

- تعميم السيكولوجيا وترسيخها في المجتمع المغربي، مع ما رافقه من مجهودات لتكييف النظريات السيكولوجية الغربية مع خصوصيات الواقع المغربي، وجعل السيكولوجيا في خدمة المجتمع من خلال تقديم بديل علاجي يتسم بالعلمية لمواجهة العلاجات التقليدية المتسمة بالسحرية والخرافية، والتعريف بتطبيقات السيكولوجيا في مجالات التربية والرياضة والتعليم والصحة وغيرها.

وهكذا، سجلت مرحلة الاستقلال في المغرب نقلة نوعية من سيكولوجيا بمضمون غربي إلى سيكولوجيا تبحث عن خصوصيات السياق المغربي. وهي الخصوصية التي تمت ملاحظتها منذ أن أدخل Laforgue التحليل النفسي إلى المغرب نهاية سنوات الأربعينات. فقد أشار هذا الأخير إلى أن الأجوبة وردود الأفعال تختلف حسب الأفراد والأوساط والأعراق، مبرزا أن لكل ثقافة ولكل عرق بنية خاصة بـ"أنا" الفرد (Laforgue، 1963).

ولأن ميلاد السيكولوجيا كان خارج المغرب، فقد طرحت على الباحثين مسألة كيفية تبليغها إلى ثقافة أخرى ولغة أخرى وسياق آخر، وتدريسها فيه، وتوظيفها في العلاج والتربية وغيرهما. لكن مساءلة هذا التبليغ يقود بالضرورة إلى التساؤل عن العلاقات التي تربط السيكولوجيا باللغة وبالثقافة (Bennani، a2005). بما أن السياق المغربي تحدده خصوصيات علمية واجتماعية وثقافية ولسانية وتاريخية. إنه التحدي الذي رفعه منذ الاستقلال الرعيل الأول من الباحثين المغاربة مع إقرار سياسة تعريب التعليم، من خلال وضع البرامج الملائمة للتكوين الجامعي في الحقل السيكولوجي. فمن جهة الدرس الأكاديمي، يمكن القول إن هناك مجهودات بذلت وتبذل على هذا الصعيد، سواء على مستوى مواكبة التكوين والتأطير لمستجدات البحث السيكولوجي الحديث، أو على مستوى تعريب التكوين وتأسيس مصطلحاته ومفاهيمه العلمية ونحتها باللغة العربية أو إنتاج معرفة سيكولوجية تراعي خصوصيات الثقافة المغربية وسياقها الاجتماعي.

2. عوائق اجتماعية وتشريعية

إلا أن تناول السيكولوجيا في السياق المغربي، يتضمن بعض عوائق تطورها، سواء على مستوى التمثلات الاجتماعية أو على المستوى التشريعي. فالتمثلات الاجتماعية تفيد وجود نوع من الجهل بخصوص قيمة هذا التخصص العلمي، إذ يختزل عموما في المهام

العلاجية، أو هو علم الأمراض النفسية أو الحالات المرضية (الخلط بين السيكولوجيا والطب النفسي والتحليل النفسي). وقد نجد أحد تفاسير ذلك في تركيب "علم النفس" الذي يحيل على ثنائية الجسد والنفس، المغايرة في طبيعتها وتركيبتها للجسد، بل والمستقلة عنه. وقد تم ترسيخ هذا الموقف أكثر بكون السيكولوجيا لا تساهم -أو نادرا ما تقوم بذلك- في صياغة أجوبة وتفاسير ملائمة لاختلالات المجتمع (من مثل الإرهاب، الانحراف، الإدمان، العنف، الفشل الدراسي، الهدر المدرسي...). إن التفاسير السائدة هي بالخصوص ذات أبعاد سياسية أو اقتصادية أو أمنية... ونادرا ما تكون سيكولوجية.

كما أن السيكولوجيا بالمغرب موسومة بعدم تقدير مؤسساتي، يمكن ملاحظته في غياب بنيات رسمية أو غير رسمية، يمكنها المساهمة في تطوير البحث العلمي في هذا الحقل([2])، من جهة؛ ومن جهة أخرى، في نقص الوسائل المادية (غياب المختبرات، والاختبارات المعربة والمُعيّرة...) والموارد البشرية (نقص في هيأة التدريس). أضف إلى ذلك أن غياب مجلات متخصصة في السيكولوجيا بالمغرب وضعف الميزانيات المخصصة للنشر بالجامعات، يولّد وضعية لا تشجع بتاتا على تطوير البحث السيكولوجي ونشر أعماله العلمية.

تتجلى العوائق السالفة الذكر وترسخ أكثر إذا استحضرنا البعد التشريعي لهذا العلم، على اعتبار أن الظهير رقم 295 58 1 الصادر في

[2] راجع Belhaj (2009) لمزيد من التوضيح حول هذه المسألة.

30 أبريل 1959 المنظم لهذا الميدان، يقتصر أساسا على الأمراض العقلية ومعالجتها وحماية المصابين بها، ويمنح كل الصلاحيات القانونية والعلمية للطبيب النفسي. وبذلك يقصي هذا النص القانوني الصحة النفسية كلية من دائرة اختصاص السيكولوجيا، وما يتفرع عنها من مهن جديدة. وعليه، فإن القانون السالف بعيد كل البعد عن التطورات التي عرفتها التصنيفات الجديدة للاضطرابات العقلية والنفسية التي تصدرها هيئات دولية متخصصة، من مثل DSM 4 وCIM 10.

طبعا يمكن تفهم هذا القصور إذا وضعنا هذا القانون في إطاره التاريخي، بل ويمكن اعتباره نصا متقدما فترة صدوره. لكن ما هو غير مفهوم، أن يظل هذا النص هو الوحيد المنظم لهذه المهنة، وعدم خضوعه للمراجعة أو التتميم أو التعديل، مثلما هو الحال في النصوص القانونية الأخرى، استجابة للمستجدات والتطورات التي يعرفها هذا الميدان. إن تخلف هذا النص القانوني ينم عن عدم الوعي بأهمية الصحة النفسية في مؤسساتنا الرسمية واعتبارها الجانب المكمل للصحة البدنية. فالفرد ليس بنية بيولوجية فقط يمكن علاجها بالعقاقير والجراحة، بل هو أيضا تركيبة نفسية تحتاج أيضا إلى علاج خاص وإلى تعديل السلوك. إننا لا نقصد هنا السلوك المرضي فقط، بل كل الاضطرابات التي يمكن أن تصيب الفرد من مثل التأخر العقلي، واضطرابات النطق، وصعوبات التعلم وغيرها.

3. بين العوائق والطموحات

لكن العوائق السالف ذكرها، لا تفيد أن السيكولوجيا قد خضعت لها وراوحت مكانها بسببها، بل بالعكس، فقد عرفت تطورات مهمة على مستوى البحث والإنتاج العلمي والخدمات التي تقدمها. إلا أن التطور الذي عرفته السيكولوجيا بالمغرب، لا يوازيه استفادة المؤسسات الرسمية من خدماتها، خصوصا وأن المغرب يعرف حاليا مشاريع إصلاحية ضخمة (التعليم، الصحة، مدونة السير، المرأة، العدل...). إن مكانة السيكولوجي في المغرب ضرورية وحيوية في هذه الإصلاحات، على اعتبار أن كل الإصلاحات تخص الإنسان، والإنسان هو موضوع دراسة السيكولوجيا بامتياز. والسيكولوجي المغربي هو الوسيط المؤهل علميا بين ما ينتجه الغرب من إصلاحات ومتطلبات الواقع المغربي. وبذلك يجب أن تكون الإصلاحات منبثقة من صميم واقع الإنسان المغربي ومن انتظاراته وطموحاته، وليس استيرادها الجاهز كما نستورد السلع الأخرى. إن البحث في المشاكل التي يعرفها المجتمع المغربي وتقديم الحلول المناسبة لها، هي من صميم انشغالات السيكولوجيا واشتغالاتها.

وعلى الرغم من كل العوائق السالفة، فإن ما يمنح لهذا العلم أهميته، هو أنه عرف منذ بداياته، تعايش عديد من التيارات النظرية فيه، والتي انبثقت عن العلاقات القائمة مع الدول العربية ومع الغرب. ساهم في تشجيع هذه الوضعية وجود الازدواج اللغوي الذي

يسم هذا التخصص. إن اللغتين: العربية والفرنسية باعتبارهما وعاء لهذا العلم، يساهمان في بلورة تعدد الخطابات على المستوى النظري والتطبيقي (Bennani، a2005: 21). لكن الوعاء اللغوي لهذا العلم يقود إلى التساؤل عن أساليب تبليغه باللغة العربية (على المستوى الأكاديمي ومستوى التكوين) وحتى بالدارجة المغربية أو بالأمازيغية (على المستوى العلاجي أو الإرشادي). كما أن الازدواج اللغوي يثير معه مشكل اللغة (العربية أو الدراجة) بحدة أثناء القيام بالأبحاث الميدانية بالمغرب. هل يجب التواصل مع الطفل بلغة التواصل التي هي الدارجة، أم باللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية؟ إنه مشكل فعلي ينبغي دراسته والتعمق فيه وفي أبعاده، نظرا لتأثيره على نتائج الأبحاث الميدانية.

وبذلك نلاحظ أن الباحث السيكولوجي بالمغرب لا يشتغل في جو مريح علميا ومجتمعيا ومؤسساتيا وتشريعيا. فهل تطورت هذه الوضعية حاليا بدخول المقاربة المعرفية حقل الدراسات السيكولوجية بالمغرب؟

4. فاس والسيولوجيا المعرفية

ظهرت أولى إرهاصات السيكولوجيا المعرفية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز بفاس منذ سنة 1991، مع افتتاح أول دبلوم للدراسات المعمقة DEA في السيكولسانيات، الذي كان يؤطره كل من الأستاذ أحرشاو والأستاذ أفرفار والأستاذ الزاهر والأستاذ عنيمي،

والذي كانت إشكاليته تدور حول معالجة اللغة ذهنيا. وتبلور هذا التوجه وتعمق أكثر مع افتتاح وحدة التكوين والبحث "النمو وسيرورات اكتساب المعارف". وقد تم في إطار هذه الوحدة تكوين طلبة باحثين عديدين ساهموا في بلورة هذا الحقل السيكولوجي وتطويره عبر أطروحات تتطرق إلى مواضيع السيكولوجيا المعرفية الحديثة، وتمحورت أساسا حول الذاكرة والتعلم والاكتساب واللغة وحل المشكلات... وأفضت إلى إنجاز أطروحات هامة حولها تعتمد الدراسة الميدانية سبيلا لها. لكن هذه الأطروحات المهمة لم تجد سبيلها إلى النشر بعد بمبادرة رسمية (الجامعات مثلا)، بل نشر بعضها بمبادرات شخصية. وبذلك تفتقد السيكولوجيا المغربية لبعض نقط الضوء فيها بغياب نشر هذه الأعمال العلمية القيّمة، ومعها نسجل غياب مبادرات رسمية لتطوير البحث السيكولوجي المغربي.

كما يمكن الجزم بأن دخول السيكولوجيا المعرفية إلى الدرس الأكاديمي المغربي قد قلب إيجابيا التصورات والتمثلات حول هذا العلم. إنه ليس علما لتفسير ظواهر النفس المضطربة أو معالجتها، ولكنه علم للإنسان في شموليته: المعرفي والانفعالي والسلوكي. علم له صلات وثيقة بعلوم أخرى من مثل الإعلاميات والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب واللسانيات وغيرها. إنه ليس فقط مجال للعلاج مقرونا بالتحليل النفسي لمعالجة النفوس المريضة أو "المعقدة"، أو نوع من الأدب المبني على القول فقط؛ بل إنه في الواقع علم يتأسس

على التجريب، وله امتدادات في التربية والشغل والرياضة والاقتصاد، وغيرها من مجالات التطبيق. كما كان لتبني منهج التدريس بالكفايات في نظام التعليم بالمغرب، دور هام في الدفع بالنقاشات والأبحاث في المجال المعرفي للسيكولوجيا إلى الواجهة، بالرغم من أن هذه الأبحاث غالبا ما تتخذ طابع تركيبات نظرية، ولا تكون إلا نادرا موضوع دراسات تجريبية، وفقا لخصوصيات السياق التربوي والثقافي والاجتماعي المغربي. وبذلك تبقى المناهج التربوية المغربية رهينة استيرادها الجاهز، بالرغم من الكفاءات التي يزخر بها المغرب، خصوصا المشتغلين منهم بالسيكولوجيا والتربية.

إن الدينامية العلمية للسيكولوجيا أدت إلى تكوين رصيد معرفي حول هذا الميدان، ويكفينا فخرا أن مصطلح "معرفية" تم نحته من قبل أساتذة هذه الشعبة بفاس، وأن هذه الشعبة قد حققت إشعاعا وتميزا بهذا التخصص وطنيا وعربيا. لكن، وعلى سبيل المقارنة مع سياقات أخرى، نسجل أن العلوم المعرفية ستصل إلى أوربا، حسب De Villeroy (a2008: 76) حوالي 1990. إنها تقريبا السنة نفسها التي دخلت فيها السيكولوجيا المعرفية للمغرب، أي سنة 1991 مع افتتاح دبلوم الدراسات المعمقة بفاس. لكننا نلاحظ أن الفرق واضح بين تطور كل منهما على مستوى مراكز البحث وعدد الباحثين والأساتذة والإمكانات المتوفرة ومنابر النشر. وبناء عليه، يمكن تأكيد أن السياق المغربي لا يشجع كثيرا على تطور البحث العلمي به.

5. البحث عن التميز

ما يسم السيكولوجيا بالمغرب على مستوى الإنتاج العلمي، هو وفرة الإنتاجات النظرية وندرة الدراسات التجريبية. وبذلك فإن السيكولوجيا في المغرب تعطي الانطباع بأنها تظل في وضعية استقبال لما ينجز في الغرب على شكل إنتاجات نظرية تركيبية أو تلخيصية، أو أنها تبحث عن التحقق التجريبي من النظريات والنماذج المنتجة هناك. وهكذا، فإن الإنتاج السيكولوجي الحالي يعتبر وكأنه نوع من ترجمة المعطيات على شكل تراكيب نظرية أو تعريبها، وأحيانا إعادة إنتاج دراسات تجريبية في السياق المغربي. كما أن هذه الإنتاجات تعطي الانطباع بأنها تتسم بالتشتت على مستوى المنطلقات والمشاريع والأهداف وميادين الاشتغال، نتيجة لغياب مشروع سيكولوجي واضح يمكن أن يوحد هذه الجهود.

في العمق، وبالنظر إلى التاريخ الحديث للسيكولوجيا بالمغرب الذي لا يتجاوز الأربعة عقود، إذا أرخنا له بإرساء هياكل التكوين بشعبتي علم النفس بالرباط وفاس أوائل السبعينات من القرن الماضي، يمكن قراءة هذه الوضعية بشكل مختلف، والقول إن السيكولوجيا في المغرب تندمج بشكل جيد في الإشكالات العامة للسيكولوجيا الحديثة، ولكنها لم تصل بعد إلى مرحلة التنظير الصارم لأعمالها، أو حتى إلى بلورة دراسة نقدية أو إبستمولوجية للدراسات الحالية، لكي تتمكن من توجيه أهدافها نحو دراسات تجريبية مرتبطة مباشرة

بانشغالات المجتمع المغربي وهمومه وطموحاته، وتأخذ بعين الاعتبار سياقه الخاص، من جهة؛ ومن جهة ثانية، الانخراط في المشروع الكوني للسيكولوجيا الحديثة باعتبار الإنسان هو منطلقها ومجال اشتغالها وهدفها. وعموما، يمكن القول إن السيكولوجيا في المغرب لم تصل بعد إلى بلورة أفكار ومشاريع أصيلة للبحث السيكولوجي، لكي تجد لها موطئ قدم بين النظريات والنماذج السيكولوجية الحديثة. والمقصود به أننا عندما نتحدث عن السيكولوجيا الروسية أو الإنجليزية أو الألمانية، فإن هناك سمات خاصة تميزها. فما سمة السيكولوجيا المغربية في هذا الباب؟

إن ما نقصده بسمات السيكولوجيا المغربية ليس مماثلا لما نجده مثلا في بعض الطروحات المبنية على انفعالات تروم تحقيق التميز بأي وجه كان. إن ما يفتح المجال في تقديرنا لهذه المزايدات، هو عجزها عن مسايرة دينامية البحث المتجدد باستمرار. وحتى إن افترضنا جدلا إمكانية قيام سيكولوجيا محلية، فإنها يجب أن تتأسس على البحث العلمي التجريبي، وليس من خلال استيراد أطر نظرية جاهزة وتعويضها بمفاهيم محلية. فلا يوجد في الواقع إنسان ثقافي ابستيمي يمكن دراسته في ذاته، بل يوجد إنسان في سياق ثقافي واجتماعي معين، له خصوصيات معينة، لكنه يشترك مع أي إنسان في مجموعة من الخصائص الكونية، ومن ثم، من العبث تمييزه فقط بخصوصياته المحلية (العرقية أو الدينية وغيرهما).

إن دراسة الفرد في سياقه الاجتماعي واللغوي والثقافي، يبرر واقعة أن كل سلوك مدمج في سياقه يمنحه معناه. لكن السياق لا يشكل كلية سلوك الفرد، بما أن الفرد يتوفر على العدة النوروبيولوجية اللازمة ليغترف من موارده الخاصة الداخلية لتنظيم علاقته مع مكونات سياقه. فالإنسان يولد إنسانا ولكنه أيضا يصير إنسانا. إنه كائن بيولوجي وثقافي في الآن نفسه، مادام "ما هو داخلي وما هو خارجي يتحددان بشكل متبادل عبر تاريخ طويل" من التفاعل بينهما. (Varela، 1989: 117).

إن الوضع الحالي للسيكولوجيا بالمغرب، لا يمنع من أنه منذ افتتاح شعبتي علم النفس بمدينتي الرباط وفاس، كانت هناك حركية ودينامية من قبل الأساتذة الباحثين لمناقشة وضعية السيكولوجيا بالمغرب، وللاشتغال على هذا الحقل العلمي وتطويره حول مشروع يأخذ بعين الاعتبار السمات الكونية للسيكولوجيا، وفي الوقت نفسه يراعي خصوصيات السياق المغربي. إن كتابة تاريخ للسيكولوجيا بالمغرب أضحى إذن ضرورة ملحة، لكي يعرف الباحث السيكولوجي أين وصل هذا العلم وما الذي يجب القيام به مستقبلا. إنه مشروع يمكن أن يشابه ما قام به Neisser (1978) عندما انتقد "عقم الأبحاث حول الذاكرة" (Baddeley، 1993: 9)، بسبب غياب علاقة واضحة بين المختبر والواقع. وعليه، استدعى المختصين في الذاكرة بهدف تحديد الأسئلة المهمة بخصوص هذا الموضوع، وحثهم على تناول مظاهر الذاكرة التي لم تلق الاهتمام من قبل الأبحاث في

المختبرات. وبذلك تم تحديد التوجهات الكبرى التي كانت منطلقا جديدا لاشتغال الباحثين حول الذاكرة (Richelle وParot، 1992: 363-364). إنها الوقفة التي يجب أن يقوم بها الباحثون السيكولوجيون المغاربة حاليا. إن افتتاح وحدة التكوين والبحث "النمو وسيرورات اكتساب المعارف" بفاس، قد كانت محطة فارقة عملت على توجيه البحث السيكولوجي وجهة معرفية، تمخض عنها تكوين جيل من الباحثين الذين ساهموا في هذه الدينامية وفق مشروع علمي سيكولوجي واضح المعالم، حددته الإشكالية العامة لهذه الوحدة. إنه المشروع الذي يلزم القيام به الآن من خلال فتح وحدات بحث وتكوين جديدة تراعي خصوصيات تطور البحث السيكولوجي الحديث، بهدف تكوين جيل جديد من الباحثين حول مشروع موحد يعطي دفعة جديدة للسيكولوجيا المعرفية بالمغرب.

6. الاستفادة من السيكولوجيا في المغرب

أن السؤال المطروح الآن هو: كيف نستفيد عمليا من الإنتاج العلمي السيكولوجي لتطوير الواقع المغربي؟

يمكن الإقرار مبدئيا بأن تطور الإنسانية رهين بالسيكولوجيا، وأينما وجدت المشاكل (في الأسرة أو المدرسة أو العمل...) يجب أن توجد السيكولوجيا، مادامت هذه الأخيرة تدرس الإنسان من أجل فهم الإنسان ومساعدته. وعليه، فإن السيكولوجي هو الأولى بالاستشارة فيما يخص اقتراح الحلول للمشاكل التي تعيشها المجتمعات، قبل

السياسي والاقتصادي ورجل والأمن وغيرهم. ونجد لهذا القول صدى لدى ماسلو Maslow([3]) عندما قال: "أنا متيقن من أن موقع السيكولوجيين في عالم اليوم من أهم المواقع وأحسمها على الإطلاق. أؤكد هذا لأن كل المعضلات التي تواجه البشرية اليوم (...) يمكن حلها على ضوء فهم الطبيعة البشرية فهما جيدا. وإلى هذا الهدف تتجه وظيفة السيكولوجيا بكاملها وبذاتها". إن السيكولوجيا حاضرة بالقوة في أي اختلال قد تعرفه سلوكات الأفراد أو قد تتمظهر في سلوك المجتمع، ويجب أن يتحول حضورها إلى حضور فعلي من خلال تدخلها بالدراسة والبحث، لرصد أبعاده وفهمه وتفسيره والتنبؤ به، وتحديد خلفيته واقتراح الحلول الملائمة له.

إن ما نلاحظه من إقبال على السيكولوجيا في المجتمع المغربي (والذي يمكن رصده مثلا في إقبال وسائل الإعلام عليها بكثافة، وفي انتشار مراكز الإنصات...) يمكن أن يكون ترجمة في الآن نفسه لطموحات الفرد المعاصر ولإحباطاته (De Villeroy، 2008b: 81)، إنه إقبال مرتبط بعدم الرضا عن الذات وازدياد ضغوط الحياة اليومية. إن هذا الإقبال يلزم المشتغلين بالسيكولوجيا تطوير أساليب جديدة لخدمة المجتمع، والانخراط في هذه الدينامية وتطويرها من خلال إنتاجات ملائمة وتكوينات خاصة ببعض الأطر التربوية والجمعوية وفعاليات المجتمع المدني. إن ما يجب القيام به حاليا هو "سَكْلَجَة"

[3] نقلا عن: عبد الستار إبراهيم (1980: 5).

psychologisation المجتمع باصطلاح De Villeroy (2008b: 81). فبسبب غياب المعايير أو تذبذبها أو هشاشتها أو عدم وضوحها في التربية والتواصل والعلاقات الاجتماعية، تفرض السيكولوجيا نفسها كبديل لإعادة تنظيم المجتمع عِلميا. فعندما تكون نماذج التصرف أو السلوك غير مستقرة، وعندما تتعدد الخيارات ويرافقها قلق الاختيار، وعندما لا تلائم الطموحات الإمكانات، تأتي السيكولوجيا كدعم، إنه من "المفترض فيها أن تحمل الإنصات والإرشاد على عاتقها، أو حتى تقديم حلول جاهزة للمحتاجين لها" (De Villeroy، 2008b: 81). لكن بالنسبة للسيكولوجيين، المهتمين دائما بإظهار الأسباب الاجتماعية وراء عفوية الانفعالات، إن سَكْلَجَة العلاقات الإنسانية، ليس شيئا آخر إلا شكلا من أشكال التعبير عن المشاكل الاجتماعية ومعالجتها بمصطلحات سيكولوجية.

7. خلاصات

وعليه، فإن مواضيع انشغال السيكولوجيا واشتغالها، يبقى هدفها الأساس هو مساعدة الإنسان على تجاوز عوائقه (في البيت والمدرسة والمعمل والشارع...)، والتي تعيق تطوره وتفتحه بشكل سليم، وبالتالي تعيق تطور المجتمع ككل. وعلى أساسه، فإن منطلق السيكولوجيا هو الإنسان وهدفها هو الإنسان. وهو ما يمنح السيكولوجي مشروعية أن يكون فاعلا فعليا في أي إصلاح يخص المجتمع ويروم تطويره. إن السيكولوجي هو المؤهل علميا وعمليا لهذا الدور الكامن في ملاءمة

مشاريع الإصلاح مع مقتضيات الواقع ومستلزماته وإكراهاته المرتبطة وثوقا بخصوصيات الأفراد وتوجهاتهم وتمثلاتهم ومعتقداتهم.

إن السيكولوجيا بالمغرب، وبالرغم من حداثة تاريخها، وافتقاد الجامعة إلى إمكانات البحث والتكوين العملي والتطبيقي وغياب التشجيع، فيجب الاعتراف بأن السياق المغربي "يختزن الكثير من الإمكانات بالنسبة للبحث السيكولوجي" (Bennani، a2005: 29). إن مظاهر تطور السيكولوجيا بالمغرب، يفيد أنه من غير المستحيل التأكيد على أن وضعية السيكولوجيا بالمغرب، بما فيها المعرفية، تعتبر حاليا في طور "الانتقال" من سيكولوجيا في المغرب، "جسمها هنا وعقلها ما وراء المحيط" بتعبير بلحاج Belhaj (2009)، إلى سيكولوجيا مغربية.

لائحة المراجع

عبد الستار إبراهيم (1980). العلاج النفسي الحديث: قوة للإنسان. الكويت: عالم المعرفة.

Baddeley, A.D. (1993). La mémoire humaine: Théorie et pratique, Trad. sous la direction de Solange Hollard, Presses Universitaires de Grenoble.

Belhaj, A. (2009). Psychologie au Maroc. L'état des lieux des sciences humaines et le bannissement de la psychologie. LeMatin.ma. Article mis en ligne le 12.07.2009 et consulté le 05.07.2010 à l'adresse :

http://www.lematin.ma/Actualite/Journal/Article.asp?origine=jrn&idr=110&id=116720

Bennani, J. (2005a). Histoire d'une transmission : la psychanalyse au Maroc. Prologues, 33, 20-30.

Bennani, J. (2005b). Introduction : psychanalyse au Maghreb. Prologues, 33, 6-7.

De Villeroy, E. (2008a). Le boom de la psychologie : Révélateurs de nos sociétés ? Sciences Humaines (Hors-série spécial) : 7, 80-81.

De Villeroy, E. (2008b). La psychologie au XXI siècle : Vers de nouveaux horizons... Sciences Humaines (Hors-série spécial) : 7, 84-86.

Laforgue, R. (1963). Relativité de la réalité (1e édition, 1932). Genève : Les éditions du Mont Blanc.

Neisser, U. (1978), Memory: What are the important questions? In M.M. Gruneberg, P.E. Morris; R.N. Sykes (Eds), Practical aspects of memory. London, Academic Press.

Parot, F.; Richelle, M. (1992), Introduction la psychologie: Histoire et méthodes, Paris: PUF.